مناقشة من القلب والعقل، وردا على بعض الشبهات حول المهدي عليه السلام

إعداد: وائل عياش العراقي

مقدمة

وفي هذه العجالة أحببت أن أناقش وباختصار شديد بعض الكلام العام على موضوع وأمر المهدي عليه السلام.

العلماء هم الحجة على الأمة:

وهنا استطاع الغرب والشرق الكافر جعل المسلم في طرف عداء مع علماء الأمة، وهم كما تم وصفهم أنهم نجاة الأمة وأنهم كسفينة نوح للأمة، لأنهم أعلم الناس وأقدرهم على معرفة مراد الله تعالى. وفي بروتكولات بني صهيون كان من بنودها أن المسلمين يلتفون حول علمائهم – علماء الدين – وهذه نقطة قوة عندهم، وقد سعوا إلى جعل المسلمين لا يلتفتون ولا يوثقون فيهم، حتى تتخطفهم الشياطين يميناً وشمالاً.

فإن الإنسان إذا أراد علاجاً ذهب إلى الطبيب، وإن أراد بناء بيت ذهب إلى مهندس معماري، وهكذا، وكذلك فإن مسائل الدين يفتي فيها العالم، ليس أي شخص، لكننا اليوم قد ابتلينا بمن لا يحترم تخصصه ومدى علمه، فإن الشخص يدرس مثلاً في علم الهندسة ثم يريد أن يفتي في كل شيء من الكون حتى الذرة، أما الدين فقد برز للفتيا حتى جهال الناس، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وإن جعلنا العلماء لمسائل الفقه فقط، وأما مسائل العقيدة وغيرها افتينا بالهوى، فنحن قد أفسدنا في القول وفي الاعتقاد، فهلا سألنا العلماء في كل مسائل الدين؟!، كما نسأل في أمر الدنيا!!.

أخي المسلم: لا سمو لنا ولا رفعة كما كنا سابقاً إلا بالرجوع إلى الدين إلى الجلوس والاستماع إلى العلماء، إلى اعطائهم قدرهم الذي أنزلهم الله فيه.

أنه لا يصح دعوى المهدية لأنه قد ادعاها الكثير:

وباختصار شديد فهل يصح لعاقل أن يتحجج بهذه الشبهة حتى يرد أمر المهدي المنصوص عليه كما سبق، ومن ثم فقد ادعى أناس النبوة فهل ننكر نبوءة الأنبياء لذلك، فهل ننكر نبوءة مُحَمَّد بن عبد الله لأن مسيلمة الكذاب قد ادعاها..، وهل ننكر الألوهية لله تعالى لأن فرعون ادعاها..

أسأل نفسك يا مسلم: إذا ادعى شخصان ملكية شيءٍ ما فهل نرد الاثنين لأنه قد ادعى ذلك كذاب؟؟!!، أم نرى الصادق فنتبعه في ما قال..؟؟!!..

أن أمر المهدي فتح للمدعين باب كذب:

أما هذه فأبأس شبهة قيلت لرد أمر المهدي، فقد ادعى ناس النبوة فهل نكذب نبوءة مُحَمَّد رسول الله أو أحد ممن قبله بهذه الدعوى؟؟!!، ومنهم من ادعى الألوهية، مثل فرعون، فهل ننكر ألوهية الله تعالى – حاشا لله -؟؟!!، وسيأتي المسيح الدجال ويدعي الربوبية، فكيف نعمل حيال ذلك؟؟!!..، فنعوذ بالله من الجهل والظلال.

هل الإيمان بالمهدي دعوة للتواكل والتكاسل:

يتعلل البعض الآخر بأن أمر الإمام المهدي يدعو إلى التواكل والكسل. فما المانع من الهجرة إلى مهاجر الإمام المهدي؟!. وما المانع من الاستفتاح به على الأعداء وإعداد العدة لنصرته؟!. وما المانع من الترويج له بضجة إعلامية ودعاية إعلانية؟!.

وما كان من اليهود حين آن خروج الرسول حيث كانوا يستفتحون به في حروبهم، وكانوا يبشرون به..

ومن ثم فهل يأتي آتٍ ويقول من منعه أو حط عنه الصلاة، أو الصيام، أو أي فرض، أو أي ركن بهذه الدعوى الباطلة؟؟!!.

أم أنها شبهة من ضال، متبع للهوى فقط لا غير!!.

ومن ثم فمن يأتي بقول واحد لعالم مسلم يحث الناس على عدم الفعل الحق والقول الحق، وعلى عدم العمل على وحدة الأمة، وعلى عدم القيام بأمرها، بحجة أن هذا لن يكون إلا على يد المهدي.

فمن المستحيل ومن رابع المستحيلات أن نجد عالم من علماء الأمة يحث الناس على التكاسل والتواكل وترك العمل لأجل الأمة، فمن أين أتى بهذه الشبهة أصحاب القلوب الزائغة.

الحديث: عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: الْمَهْدِيُّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا الحديث ضعيف: رواه ابن ماجة، والحاكم، وضعفه البيهقي والحاكم، وفيه: أبان بن صالح وهو متروك الحديث تحفة الأحوذي، والحديث مداره على: مُحَمَّد بن خالد الجندي، قال الذهبي، قال الأزدي: منكر الحديث، وقال الحاكم: مجهول، وقال الحافظ في التقريب: مجهول، والحديث ضعفه ابن تيمية في منهاج السنة والألباني في الضعيفة.

وإذا أردنا الجمع فيمكن القول بما قاله العلماء: بأن حديث: (لا مهدي إلا عيسى) حديث ضعيف كما تقدم، وعلى فرض صحته يكون معنى الحديث: أي: لا مهدي كامل إلا عيسى، ولا شك أنّ عيسى – عليه السلام – أكمل في الهداية من المهدي فيكون النفي المراد في الحديث نفي كمال، لا نفي وجود، هذا مع افتراض سلامة الحديث؛ بل هو ضعيف كما رأيت، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولا يعني ذلك أنه نص ينفي فيه المهدي وينكر خروجه.

لا يوجد حديث واحد ينكر المهدي:

بل على العكس تماماً، فعدد الأحاديث التي تثبت أمر المهدي قد بلغت حد التواتر، والذي لا يرده إلا واحد من ثلاثة: أولهم الجاهل، والثاني المعاند، والثالث الحاسد، فكن أخي المسلم جاهل فالجهل عيب لكن بالعلم ترفعه، ولا تكن معانداً لأمر الله، ولا حاسداً للمهدي فتكذبه، فتهلك..، كذلك فإن ديننا نأخذه من الكتاب والسنة، فلا نحكم على شيء إلا من خلالهما..

وأما الحديث: (لا مهدي إلا عيسى) فليس بصحيح، ولا يصح أن يُحتج به في إنكار المهدي.

أغلب من رواة أحاديث المهدي هم من الشيعة:

وهذه من الشبهات التي أشيعت؛ وهي مما لا صحة فيها البتة، ولا يقلها إلا متخرص أو جاهل.

ومن ثم فإن أكثر الباحثين المتأخرين في أحاديث المهدي لم يكن لهم مصدر واحد من الشيعة، أما المتأخرين فهم إن أخذوا عن الشيعة فيأخذوا إما ما يوجد له إشارة عند أهل السنة، أو أنه يوافق الحق ولا يناقض روايات أهل السنة، وأكثر ذلك يدخل في باب صفات المهدي أو علامات خروجه.

يجوز عند العلماء العمل بالحديث الضعيف في أمر المهدي، ولا يشترط تواترها:

وهذا مما اتفق عليه جمهور علماء الإسلام، وممن قال بهذا: أحمد بن حنبل، زين الدين العراقي، جلال الدين السيوطي، الإمام الشوكاني، حمود التويجري، وغيرهم الكثير..

وأخيراً: فقد حاج الله تعالى اليهود والنصارى على ما عندهم من نصوص التوراة والإنجيل وقد حرفت، وكفرهم عندما كذبوا بها حال مجيء رسول الله محمد بن عبد الله، فماذا نقول ونحن بين أيدينا بعض الأحاديث والآثار ضعيفة السند فقط.!؟

أحاديث المهدي (عليه السلام) بلغت أكثر من التواتر:

لا يخفى أن أحاديث المهدي عليه السلام كلها من أنباء الغيب، والصحابة لا يوحى إليهم، وهذا يعني أن الأحاديث الموقوفة عند بعض الصحابة قد صدرت بالفعل من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن المستحيل عقلاً أن يتفق عدد يربو على الخمسين صحابياً على كذب!! خاصه وأنه لا مصلحة لهم بالكذب، ولم يكرههم أحد على ذلك، ثم أنهم لا يعرفون شخص المهدي المنتظر عليه السلام على وجه اليقين ليكذبوا من أجله.. وهؤلاء الصحابة كلهم شهدوا وسمعوا الرسول صلى الله عليه وآله، يدلي بأحاديث المهدي عليه السلام، ومنهم على سبيل المثال:

أهل بيت النبوة وآل مُحَمَّد عليهم السلام: ولو لم يكن للأحاديث المتعلقة بالمهدي غير هؤلاء الرواة لكان فيهم الكفاية ولتحقق بهم اليقين.

من زوجات النبي صلى الله عليه وآله: أمهات المؤمنين كأم سلمة، وعائشة، وأم حبيبة.

من بني هاشم: كالعباس بن عبد المطلب عم النبي، وعبدالله بن العباس، وعبدالله بن جعفر الطيار.

خلفاء ومرشحون للخلافة: كعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عمرو بن العاص.

الصحابة الأبرار: كسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، عمار بن ياسر، وجابر الأنصاري، وحذيفة بن اليمان.

طائفة من الصحابة: كأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن أرقم، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وحذيفة بن أسيد، ومعاذ بن جبل، و... وغيرهم كثير.

ولو ثبت النقل عن عشرهم لثبت التواتر بلا شك ولا شبهة.

من رواة أحاديث المهدي من ظلموا في الحكم عليهم:

أمثال: نُعيم بن حماد، كعب الأحبار، وهب بن منبه، ومع أن هؤلاء الرجال قد وثقهم غير واحد من محققين العلماء إلا أنهم قد ظلموا حتى أصبحوا فيمن لا يحتج بخبرهم.

فممن وثق نُعيم: ابن حجر، ابن معين، أحمد بن حنبل، ابن أبي حاتم.

وممن وثق كعب الأحبار: العجلي، النسائي، أبو زرعة، ابن حبان.

أما وهب فقد روى عنه: البخاري ومسلم وأبو داود، النسائي، الترمذي، ابن ماجه، وبمجرد نقل هؤلاء منه هذا أكبر توثيق له..

هل انتجت فكرة المهدية الفتن والحروب:

وأن هذه كسابقتها، فقد تمسك بها من لا خلاق لهم ولا عقل.

فإن كثير من الناس الكذابين قد تحججوا بفكرة المهدي حتى يصلوا إلى السلطة، فهل هؤلاء يصح أن يكونوا حجة على الحق، ومن البديهي أن ينتج من خلال فكرتهم ودعوتهم هذه حروب وفتن، فهذا العمل مردود عليهم، وكل ما نتج منه يتحملوا إثمه، أما من خرج مصلح فلا يمكن أن يدعي المهدية بتاتاً، إلا قول الكذب والزور عليهم..

وأما إن جاء المهدي وحاربه أشخاص، فهل نعتبر الحق مع المهدي من أمره من السماء، وبايعه المسلمين، وهذا هو المطلوب وهو الحق، أم نجعل أمره الضلال كمن خالف الله ورسوله والمسلمين، فنكذبه، حاشا لله كيف تحكمون!!؟؟، وأن هذا الأمر كالحروب التي خاضها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي تقيم الحق وتدحض الباطل.

هل أمر المهدي تخالف العقل السليم:

وهذا من الافتراءات التي قيلت من قبل (أحمد أمين)، وغيره وتحجج بعدهم نفر ممن ينكرون الحق المبين.

وأن الذين في قلوبهم زيغ ما لاحت هذه الشبهة حتى تمسك بها هؤلاء..

والجواب: متى كانت فكرة المهدي (المخلص) تنافي العقل السليم، وما الذي فيها لا يتفق مع العقل السليم، بل كلها خير وفيها الخير من الله تعالى.

وقد روى أبو داود في سننه قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)، فهل هذه منحة للأمة أم أفكار تناقض العقل، وأن المهدي كما قول أكثر أهل العلم يأتي على رأس سنة هجرية يجدد لها دينها، ولكن لا يعني ذلك أن وقت خروج المهدي بداية سنة هجرية بل خلال سنة هجرية تفتقد الأمة لمجدد يسخره الله..

أحاديث المهدي ليست كلها ضعيفة:

وهذا ما ثبت سابقاً، وفي غيره من الدراسات..، وهذه الشبهة تسقط بمجرد الإجماع على تصحيح أو تحسين كثير من الأحاديث..

المنكرين للفكرة يريدون السلطة:

وكما أن كثيرين ممن ادعوا المهدية طمعوا في السلطة، كذلك من ينكرها هدفهم السعي وراء السلطة، كما أنه سيأتي من يحارب المهدي لأجل السلطة، والمستقرئ للأثر الذي أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، القائل: (عن كعب الأحبار: راية المهدي مكتوب فيها البيعة لله)، يعلم أن معنى ذلك أنه يكون صراع على السلطة زمن خروج المهدي، فيبرز هذا الشعار ليعلم الناس أن الأمر هو لله وللمسلمين، وليس لأحد الحق في طلبه إلا بما يوافق الشرع..

كذلك الحديث السابق: (.. يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلاَثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لاَ يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ..)، ومن خلال النص ودون التمعن في التفسير نعلم أن الثلاثة يكون القتال بينهم لأجل الملك والسلطة، ثم لا يكون لأحد منهم، بل يرفع الله أمر المسلمين الذين يختارون المهدي.

الحق أن أمر المهدية أو المخلص .. هي فكرة إلهية:

ودليل ذلك باختصار هو وجودها في كل الأديان السماوية، وحتى الأديان الوثنية الوضعية توجد فيها هذه الفكرة، وما هذا إلا تأثراً بالأديان السماوية القديمة، من الصحف التي أنزلت على آدم (عليه السلام) حتى دين الإسلام.

ولكنه التجسد الحقيقي في الإسلام، لأن أمرها وخبرها من قبل الله تعالى، على خلاف أهل الأديان المحرفة، وكذا المذاهب الزائغة، التي تصور المخلص أو المنقذ بصور حسب هواها.

فمثلاً: الإنجيل يصف عيسى (عليه السلام) بابن الإنسان، ولكن النصارى المحرفين يصفونه بابن الله — وحاشا لله أن يكون له ولد -.

كذلك يصفون القديسين الذين ينزل عليهم عيسى ينصرهم ضد عدوهم بأنهم هم (أي النصارى)، وما اقتنعوا أن المسلمين أصحاب الدين الحق السوي هم القديسين، الذين جاء وصفهم في الإنجيل.

وأما اليهود فيجعلون مخلصهم هو (المسيح الدجال) الذي سيسمونه (أمير السلام، الرب، النبي، ال.....)، وما اقتنعوا أن من يدعي الربوبية والألوهية لا يمكن أن يكون مخلصاً بل هو شيطاناً مريداً مهلك للناس، وإن أشد الفتنة هي تغيير دين الناس إلى باطل الاعتقادات.

وسيطول الكلام إن حاولت الإلمام بالكلام، وأكتفي بما سبق.

ولكن للأسف فمن الناس من يجعل هذه الشبهة محل تشكيك في حقيقة أمر المهدي.

وأكتفي بما سبق فإن الباب واسع الجدل، والحر تكفيه الإشارة، والله أعلى وأعلم وأجل، وهو وحده من وراء القصد والسبيل، وحاشاه ربي أن ينزل باطلاً قط...

كلنا يريد رفعة نفسه:

أخي المسلم: هل تريد أن تحيا عزيزاً بين الأمم؟!، هل تحب أن يحسب للمسلم ألف حساب قبل أن يفكر المجرم سفك دمه؟!، هل تحب ألا يظلم في الأرض مسلم؟!، هل تحب ألا يهان في الأرض مسلم مسكين (رجل أو امرأة أو طفل..)..

أم هل تحب العيش ذليلاً كسيراً خانعاً؟!..، كما نحن اليوم، لا يوبئه للمسلم قُتل أو ظُلم أو فعل به أي شيء..

وكما هو معروف بين البشر: أن سمو ورفعة ومجد الأمة تنعكس بالإيجاب على كل أفرادها.

وكما أخبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه في زمن المهدي (عليه السلام) يرجع الله وحدة الأمة بعد شتاتها على يده، وأن الله ينصره وينصر أصحابه حتى يعيدوا للأمة مجدها..

هل تحب انتصار أمة الإسلام:

فلو تكلمنا في باب التمني والطموح؛ فهل تحب أخي المسلم وجود شخصية مسلمة صالحة تجتمع الأمة على يدها، ويحقق لها نصراً ورفعةً، فقد تغنى الناصريين في جمال عبد الناصر، وتغنى البعثيين في شخصيات منهم صدام حسين، وتغنى البعض في غيرهما فقد تكرر ذلك في عدة شخصيات، وعند كثير من الناس والأقوام، ولكن الله لم يكتب فيهم ما أراده الكثيرين، وهذا أيضاً يصح أن يكون دليل كون فكرة الموحد والمخلص هي من الفطرة - كما توجد في كل الأقوام على خلاف صورها — فلماذا لا تؤمن يا من تنكر أمر المهدي ولو من باب التمني على الله، بغض النظر عن النصوص، والوقت سيبين حقيقة الأمر..، (لأنه من الأكيد الحتمي خروجه)..

هل المهدي يعرف أنه المهدي:

وهذا من أكثر الأسئلة تقريباً في أمر المهدي، والجواب باختصار: أنه يعرف نفسه، ولكن دون يقين منه على ذلك، أي يعرف أنه على نفس صفات المهدي، ويعرف معلومات كثيرة جداً لا يعلمها الكثير من الناس، ويلقى تأكيداً من قبل آخرين كثر أنه المهدي، ولكن لا يتيقن أنه المهدي في نفسه، إلا بعد البيعة، وفي تفسير لبعض العلماء: أن النص السابق: (يصلحه الله في ليلة)، أي بعد تلك الليلة التي يبايع فيها، يثبت الله تعالى قلبه أنه المهدي، فيبدأ من يومه تسيير أمور دولته، وطبعاً يبدأ التأسيس لها..

فإن رسول الله كان يعلم أنه رسول قبل نزول الوحي فقد ورد: (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ)، وقد علم قبل ذلك وعلى طول حياته أنه رسول آخر الزمان، سواء من قبل بحيرا الراهب ومن غيره..، ولكنه لم يكن يخبر الناس بذلك لعدم وجود مسائلة اليقين التام بذلك، إلا بعد البعثة، ونزول جبريل عليه، فهنا حصل اليقين، الذي يقود للعمل بما كلف به.

وهنا في موضوع المهدي نفس الأمر ينطبق عليه تماماً، فلا وحي هنا ولكن أحاديث وروايات وتثبيت من الله لقلبه، باليقين المطلوب لتحقيق الأمر..

ومن الأمور التي ترجح أنه يعرف نفسه، ويعرفه غيره نصوص أتت في سيرته المروية في كتب منها: الفتن لنعيم، الفتن للداني، وعقد الدرر للمقدسي، والعرف الوردي للسيوطي، وغيرها ومنها:

- علمه الذي جمع أغلب مسائل الدين، فيعلم كل العلامات والصفات فيه والتي تحكي عنها النصوص.
- يُحبس كل أفراد أسرته، فلا يبقى صغيراً أو كبيراً منهم إلا حُبس..، إذن يُعلم لدى الحاكم.
- يطارده حاكم الحجاز يريد القبض عليه أو قتله، وإذن يُعلم هنا أيضاً لدى الحاكم.

والنصوص كثيرة جداً تجدها في الكتب المذكورة فمن أراد المزيد فليرجع إليها.

أخلاق المهدي:

قول البعض: أن يصلحه الله في ليلة أنه قد يكون: فاسداً أو فاسقاً أو غافلاً ثم يصلحه الله في ليلة من صلاح الدين..

يكفينا هنا بعض النصوص:

- **إجمالاً:** (قال علي رضى الله عنه: ونظر إلى ابنه الحسن فقال إن ابنى هذا سيد كما سماه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخَلق ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً). (أبي داود)
- **في عدله:** (قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج من عترتي، أو من أهل بيتي، من يملأها قسطاً وعدلاً..). (العقد للمقدسي)، (يبلغ من رد المهدي المظالم حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يرده). (فتن نعيم)
- **في تواضعه، وخشوعه، وسكينته، ووقاره، وعلمه:** (المهدي خاشع لله كخشوع النسر ينشر جناحه). (فتن نعيم)، (سُئل أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام بأي شيء يعرف الإمام المهدي؟ قال: بالسكينة والوقار قلت: وبأي شيء؟ قال: بمعرفة الحلال والحرام..). (العقد للمقدسي)، (وعن أبي جعفر الباقر أنه قال: .. ويورثه الله علماً ولا يكله إلى نفسه). (العقد للمقدسي)
- **شديد الحياء:** (والمهدي جالس بين أصحابه، وهو أحيى من عذراء). (العقد للمقدسي)
- **في تقسيمه المال بين الناس بالسوية:** (وعن أبي جعفر مُحَّد بن علي الباقر، أنه قال: .. إذا قام مهدينا أهل البيت قسم بالسوية، وعدل في الرعية). (العقد للمقدسي)
- **القول بما يشاء الرجل، بلا خوف:** (قال علي بن أبي طالب: .. قال: يفيض الأمر حتى يتكلم الرجل بما شاء لا يخشى شيئاً). (فتن نعيم)
- **رحمته بالمساكين، وتعامله مع قادة دولته وعماله:** (عن ليث عن طاووس قال: علامة المهدي أن يكون شديداً على العمال جواداً بالمال رحيماً بالمساكين). (فتن نعيم)
- **لم تلبسه الفتن ولم يلبسها:** (عن ابن عباس قال: إني لأرجو ألا تذهب الأيام والليالي، حتى يبعث الله منا أهل البيت غلاماً شاباً حدثاً لم تلبسه الفتن، ولم يلبسها، يقيم أمر هذه الأمة..). (فتن الداني)

إذن: لا يصح ما سبق وقيل، فإن هذا القول السابق في الإصلاح يخالف النصوص، أنما الإصلاح هنا هو الإصلاح لأمر الدولة للسياسة، أو أن يصلح له الأمور هذه..، والله أعلم.

هل بيعة المهدي غير جائزة لأن بيعته تأتي بعد البيعة لأشخاص، وهذا لا يصح لعموم الحديث: (قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا)[1]:

أما جواباً على من سيكون تأويل حربه ضد المهدي أنه يأتي بالبيعة بعد البيعة لنفر من الناس في الحجاز والشام، وكما تروي الآثار والنصوص ويلقبونهم بالسفياني، وهو أكثر من شخص..،.

أن الأمر أي الحكم هو للمهدي بأمر السماء بأمر الله تعالى بأمر الوحي المبين لنا أمر ديننا ودنيانا، فإذا خرج وتبين صدق أمره وجب على كل مسلم طاعته ومن الطاعة البيعة والنصرة، ولو خرج في قوم يحبون الله ويطيعونه لسلموا إليه الحكم طواعية، ولكنهم سيحاربونه، فسيكون حتماً عليه قتالهم، لأنهم في هذه الحالة خارجون على الشرع الحنيف، ومما يقوي أنه أمر الله، أن المسيح عيسى عندما ينزل يصلي ورائه، ولا يكون حاكماً على المسلمين بدليل النصوص واللفظ: (بعضكم أمير بعض)، ولا يمكن هنا تطبيق الحديث السابق، لأن هذا الحديث قاعدة لما سواء الأمر الموحى إليه من السماء. كما الأمر في تقديم الطاعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قبل الأنبياء قبله، إذا بعث في زمن أحدهم، كما تفسير الآية؛ ففي القرآن الكريم قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

---

[1] رواه مسلم، والحاكم، والبزار، والطبراني، والبيهقي، وأبي داود.

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[٢]، وفي تفسير هذه الآية جاءت عدة تفاسير منها: (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ: لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْمُرُهُ فَيَأْخُذُ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ، ثُمَّ تَلَا: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ الْآيَةَ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ السُّدِّيِّ فِي الْآيَةِ نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ).[٣]، وما يقوي هذا التفسير ما جاء عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ وَقَالَ: أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي).[٤]

ومن ثم فإن الولاية اليوم تسمى ولاية ناقصة، لأن الأمة مقسمة إلى عدة دول.

ومن ثم فإن الحكم الجبري لا شرعية له سماوية، إلا بما فيه صالح الأمة الإسلامية، أو جزء منها، وإن الحكام الذين سيقاتلهم المهدي ستكون بيعتهم إما من قبل مجلس لهم متسلط على الأمة، أو أخذها بالقوة، ولا يمتلكون بيعة علماء الأمة، أهل حل وعقد، بخلاف المهدي ستكون بيعته ستكون بيعته على الطريقة الإسلامية المقرر عليها من قبل علماء الإسلام على مر العصور، وصور بيعة المهدي:

- أمر موحى إليه من السماء، بقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالأحاديث الصحيحة.
- أن بيعته تكون باجتماع سبعة علماء من بلدان شتى من دول الإسلام، فهؤلاء يصلحون أن يكونوا أهل الحل والعقد، وقد بويع لكل عالم في بلدانهم من قبل (٣١٣) رجل من أفاضل الناس علماً وديناً، فقد جاء في الأثر: (إذا انقطعت التجارات، والطرق، وكثرت الفتن، خرج سبعة رجال علماء من أفق شتى على غير ميعاد، يُبايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، حتى يجتمعوا بمكة، فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض: ما جاء بكم؟ فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفتن، وتفتح له القسطنطينية قد عرفناه باسمه، واسم أبيه، وأمه، وحليته، فيتفق السبعة على ذلك، فيطلبونه فيصيبونه بمكة،..).[٥]

هل المسلم مخير في الاعتقاد في أمر المهدي:

لا يمكن للمسلم أن يكون حراً في الاعتقاد في أي أمر من أمور الدين القطعية، وكما هو معلوم أن المهدي فيه القطع، وقد أورد أمره كل علماء الإسلام في باب العقيدة والتوحيد، وكأن من بياناتهم: أنه يجب على كل مسلم الإيمان بأمر المهدي، وعلى النحو المذكور في اسمه وصفاته، كذلك وكما جاءت به الأحاديث: أنه من مات ليس في عنقه بيعة لإمام المسلمين مات ميتة جاهلية – أما في زمننا هذا فلا إمام للمسلمين –، وما ذلك إلا للم شتات الأمة، ولإقامة جماعة المسلمين على إمام واحد وهذا من أقوى السبل للوحدة التي أمر الله تعالى بها. وأما نظام اختيار الخليفة على المسلمين فأنه يكون بجماعة علماء الإسلام من أمصار شتى يكونون أهل حل وعقد وهم الذين يعقدون لخليفة أو يحلوه، وهؤلاء سيجمعهم الله للمهدي حتى يكون أمره وحياً من السماء وكذلك اجتماع أهل حل وعقد، وأما الانتخابات اليوم فما هي إلا نظام غربي ليس فيها صلاح الأمم، وأبسط وأكبر عيوبه: أنه يساوي رأي العالم الفاهم بالتافه السفيه الجاهل، فإن كثر مثل الآخر منهما كانت الأمة في أيديهم، فهل يرجى خير في السفهاء الجهلة الذين لا رأي لهم ولا دين؟؟!!، وفي الأخير: فما اتفق عليه أهل الحل والعقد إلا وجب على بقية الأمة السمع والطاعة.

لماذا يبدأ المهدي حياته بالقتال، مع أن دعوة المصلحين ليس فيها حرب، ودعوة رسول الله ﷺ بدأت بالسلم:

إن من الأساليب التي أقرها الله تعالى لأنبيائه وكذا أقرها للحفاظ على الدعوة، وعلى الدين، ولو لم يقر الله تعالى هذا لهلك كل المسلمين عبر التاريخ، ولم يبق على الأرض إلا كل كافر ظالم، وأما أمر المصلحين فإن أمر السلم عندهم يكون في المجتمع الإسلامي أو المجتمع الغير مسلم الغير حربي، الذي يقوم على أساس الحجة والبرهان.

---

٢ آل عمران : ٨١.

٣ فتح القدير للشوكاني.

٤ رواه ابن أبي شيبة وأحمد وابن حبان.

٥ الفتن لنعيم بن حماد.

وأما أمر المهدي فإنه ومن خلال النصوص[٦]، يبدأ دعوته بسلم كامل، حتى أنه يُحبس ويُعذب حتى أن أفراد أسرته ينالون من البلاء كثيراً، وأنه يحاول حاكم الحجاز قتله ولكنه يفر منه، وسيقتل من أصحابه الكثير قبل بيعته، حتى إذا بويع بعث إليه جيش يردون قتله وقتل أصحابه الذي بايعوه، فيفرون إلى جبال الطائف، ثم يخسف بالجيش الكثير الذي يجيء يريده بمكة بعد فتحه لها، وما دام قد أصبح أمير المسلمين فلا بد له من القيام بأمر الدفاع عن أمر الحكم بالقوة، فإن حاول الاعتداء عليه لزم عليه الأمر بالحرب، وكما سيحارب منافقي المسلمين أيضاً سيحارب الروم (أمريكا وأوروبا)، ومن ثم فإن الرسول ﷺ جاء في مجتمع كافر فإنه حتماً سينشر الإسلام دعوة دون قتال، ولو استمر العدو بالسلم لما قاتل في حرب قط، لكنه قوتل وحوصر ونهب كل أموال أصحابه فلزم عليه دفع العدو ولو بالحرب، أما المهدي فإنه سيأتي على قوم مسلمين لا حاجة إلا إلى إقامة الحجة عليهم فقط، فمن آمن فله الأمن والأمان، ومن خالف وقاتل فعليه بالمثل.

لماذا يقاتلنا اليهود والنصارى وهم يعلمون أننا المنتصرون:

وإن كانت هذه ليست شبهة في المهدي، إلا أن السؤال فيها جاء أحياناً على إنكار النصوص في فتن وملاحم آخر الزمان التي تأتي مع المهدي، فإنهم يقولون: إذا علم اليهود أن المسلمين سينتصرون عليهم في تلكم الأحداث كذلك الروم، كذلك المسيح الدجال يعلم أنه متى يخرج المهدي فقد دنى أجله، فلماذا يخططون ويقاتلون..، والجواب هنا هي من شقين، الأول: أن هذه الأمور تأتي عند المخالف للنصوص وغير المصدق لها بمثل علم الظن وليس فيه يقين. والثاني: أن المخالف غير مصدق لها بالجملة أو بالتفصيل؛ فقد لا يؤمن بالمهدي البتة، وقد يؤمن به ولكن لا يؤمن بأنه قد حان زمنه أو أنه ليس هو..

والسلام ختام،،،

[٦] الأحداث ضمن نصوص مبثوثة ومبسوطة في كتب الأحاديث وغيرها، فمن أراد المزيد فليرجع إليها في مصدرها؛ مثل: فتن نعيم، فتن الداني، عقد الدرر، العرف الوردي،...، المهدي وقرب الظهور..